الفصل الخامس

والوالدات يُرضعن أولادهن . .

obeikandl.com

obeikandl.com

والوالدات يُرضعن أولادهنَّ . .

ما تنفك الآيات من عجائب القدرة في خلق الإنسان في الأرحام ثم في مولده يوم يولد وبعد مولده . . تترى!

يُقْبِل الوليد على الدنيا . .

وما تكاد أمه تضمه إلى صدرها، بعد سويعات، حتى يطبق فمه على ثديها، فإذا الثدي يفيض لبناً زكي الرائحة حلو المذاق نقياً دافئاً طازجاً سهل الوِردْ بلا ثمن، ينهل منه الوليد أنّى يشاء!

* * *

هل طاف بخلدهم يوماً هذا المشهد للجنين، وقد أجلس نفسه في رحم أمه، ثم مضى يمصّ أصبعه؟!

لو أنهم يتوقفون لحظة، فيسألون أنفسهم أيتمُّ هذا صدفة؟!

أم أن الذي خلق الجنين ألهمه أن يروض نفسه على تعلم الرضاعة؟!

● صورة رائعة لجنين يمص أصبعه

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ . وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات: ١٢ ـ ١٣].

وكيف لا يدهشهم الوليد، وقد وُضِع على بطن أمه، بعيداً عن الثدي، فإذا هو يحدّق في جسم أمه، وإذا هو خلال نصف ساعة يحدد موضع الثديين، ثم يمضي يجاهد ويجاهد، حتى يصل إلى ثدي أمه، ويرضع؟!

● وليد يسعى إلى ثدي أمه

ينمو الثديان عند المرأة في فترة البلوغ، حتى يغدو الثدي كتلة من الدهن وفصوصاً غدّية تبلغ العشرين أو نحو ذلك، يُصنَع فيها اللبن، ثم يُنقَل بقنوات إلى حلمة الثدي وفم الرضيع، فينهل!

ولعل الله سبحانه قد أنشأ ثدي الأم من فصوص عديدة، حتى إذا أدركتْ بعضَ الفصوص علّةٌ، فأخفقتْ في صنع اللبن، كان فيما بقي من الفصوص عِوض، فلا يغيض النبع الصافي، ولا يظمأ الرضيع أو يجوع!

وكيف يغيض النبع، وقد سوّاه الله، فكان ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؟!

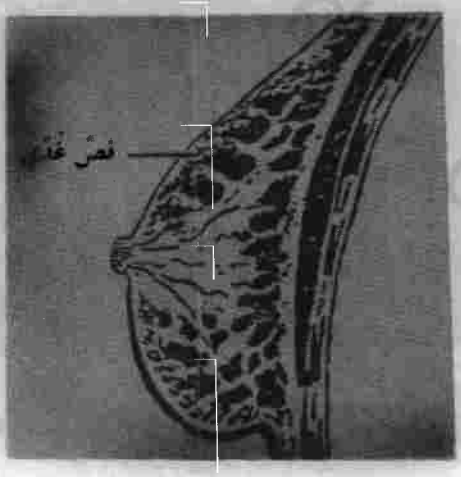

● فصوص الثدي

بَيْدَ أن غدد اللبن وقنواته ودهن الثدي تتضخم أثناء الحمل، حين تبدأ هورمونات المشيمة منذ الشهر الثاني تُعِدُّ الثدي للرضاعة.

وتمنع هورموناتُ المشيمة أثناء الحمل الغدةَ النخامية في المخ من إفراز هورمون (برولاكتين)، الذي يُدِرُّ في الثدي اللبن.

فإذا ولَدَت المرأة، وسقطت المشيمة، أفرزت الغدة النخامية هورمون (برولاكتين)، ودَرَّ اللبن في الثدي.

غير أن اللبن لا ينبجس من غدد اللبن إلى القنوات ولا يسيل من حلمة الثدي، إلّا إذا أقبل الرضيع على ثدي أمه لينهل!

لحظتئذٍ، تحمل أعصاب الثدي إلى المخ إشارة، فيصدر المخ أمراً إلى الخلايا المحيطة بغدد اللبن، فتنقبض، وينبجس اللبن إلى القنوات، ثم يسيل إلى الحلمة، فإلى فم الرضيع، بعد بدء الرضاعة بنصف دقيقة ـ دقيقة واحدة!

أمِنْ أجل رضعاتٍ من اللبن ينهلها الرضيع فحسب، كانت هذه الصنعة المحكمة في الثدي، أم من أجل غاية

كبرى تُفضي بالإنسان إلى رحاب الله؟! ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

* * *

هل في اختلاف خواص اللَّبَأ (اللبن الكثيف الأصفر الذي يفرزه ثدي الأمّ عقب الولادة)، عن لبن الأمّ فيما بعد، وهل في التناسق البديع بين تركيب اللبأ وبين حاجة الوليد، في الأيام الأولى من العمر، سوى آيةٍ عظيمة من آيات الله، تُظهر بديعَ صُنْعِهِ، وتبيّن عظيمَ شأنِهِ؟!

● فاللبأ أسرع امتصاصاً من اللبن وأسهل هضماً للوليد، لأن تركيبه الكيميائي أقرب إلى الدم منه إلى اللبن.

● واللبأ يتضمن من البروتين أكثر من لبن الأمّ، كما يتضمن مقادير من الأملاح المعدنية والفيتامينات وخمائر الهضم، تفوق مثيلاتها في لبن الأمّ، ممّا يلبّي حاجة الوليد الملحّة إلى الغذاء الغني، خلال الأيام الأولى بعد الولادة.

● واللبأ يحوي من الدهون أقلّ من لبن الأمّ، مما يخفف عبء الهضم عن الوليد، فلا يرهقه، وهو لم يزل بعدُ ضعيفاً.

● واللبأ يضم من (الأجسام المضادة) أعداداً تربو على مثيلاتها في لبن الأمّ، تمنح الوليد الحصانة ضد كثير من الأمراض، حتى يقوى، فيدفع عن نفسه غائلة المرض، أو يُحصَّن باللقاح فيما بعد ضد بعض العلل!

* * *

إنه لن يستعصي عليك أن تدرك ما في اللبن والرضاعة من إبداع!

وإنك لن تعجز أن تدرك ما في اختلاف لبن الأم عن لبن البقر والغنم والماعز من حكمة!

فبينما يتضمن لبن الأمّ مقادير ملائمة للرضيع في الأشهر الأولى من العمر، من الماء الذي يروي الرضيع فلا يظمأ ولو كان الطقس قائظاً، ومن البروتين والدهون، وسكر اللبن، والأملاح المعدنية: كالحديد اللازم لتكوين الدم والكالسيوم والفسفور لنمو العظام والأسنان.. فإن لبن الأبقار والأغنام والماعز يتضمن مقادير تفوق حاجة

الـرضيع من البروتين والدهون تؤدي إلى عسر الهضم، ومقداراً أكبر مما يلزم من الأملاح المعدنية.

ولذا فإن لبن الأبقار والأغنام والماعز لا يصلح غذاء للرضيع في الأشهـر الأولى من العمـر إلاّ بعـد إجـراء تعديلات هامة على مكوناته الغذائية.

ليس هذا فحسب، بل إن لبن الأبقـار والأغنـام والمـاعز، لا يمنح الرضيع حصانة قوية ضد الأمراض، كلبن الأمّ الـذي يحتـوي على (أجسـام مضـادة) تهب الرضيع الحصانة، وتمنحه القوة على التصدي لكثير من العلل إن أدركته، فلا تفتك به أو تشتد عليه وطأتها. ولا يزال إسهـال الأطفـال، بسبب ضعف الحصـانـة وتلوث زجاجة الرضاعة بالجراثيم، يغتال العديد من الأطفال من أحضـان أمّهاتهم ويزرع بين جوانحهن اللوعة والأسى، فتتفطّر حشاشات وتدمع عيون!

* * *

هل في وسـع عالِمٍ في الـدنيا كلها، أن يصف لنا غذاء تاما للرضيع، في الأشهر الأولى من العمر، يطفح بالعافية مثل لبن الأمّ؟!

وهل في وسع امرىء في الدنيا كلها، أن يصف لنا مشهداً يفيض بالحنان والمحبة، أروع من مشهد أمّ تضمّ وليدها إلى صدرها ساعة الرضاعة؟!

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

* * *

أرأيت إلى الآية ٦٦ من سورة النحل ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾.

والفرث ما يبقى في الكرش بعد الهضم وامتصاص الأمعاء للعصارة التي يتحول جزء منها في الجسم إلى دم.

هذا الدم ينطلق إلى كل خلية في الجسم، حتى إذا غدا إلى غدد اللبن في الضرع، حولته يد إلهية قادرة حكيمة إلى لبنٍ خالصٍ سائغٍ للشاربين.

وذلك ما يكون أيضاً في ثدي المرأة، كما ثبت في العلم الحديث!

فأنّى لمحمد بن عبد الله، وأنّى للبشر كافة، في عهد نزول القرآن، معرفةُ هذه الحقيقة العلمية، بهذه الدقة الكاملة؟!

أليست هذه الآية الكريمة وحدها، وفي القرآن سواها آيات كثيرة، برهاناً ساطعاً وحجةً دامغةً، لكل ذي لبّ لا يماري في الحق، بأن القرآن كان وحياً من عند الله، يستوقف الإنسان، خاشعاً لله بكل جارحة فيه؟! ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١].

* * *

تتجلى لهم آيات ربهم، أينما التمسوها، في أنفسهم!

وتناديهم إلى الهدى!

آيات تستحث الإنسان لكي يوجه خطاه إلى الطريق الصاعدة إلى الآخرة، فلا تكون الحياة عبثاً!

فهل يتأمل الإنسان نفسه، فإذا له فيها آية تهديه؟!

أم يظل الإنسان ينأى بنفسه عما استودع فيه من فطرة ربه؟!

وتظل الغاية الكبرى التي من أجلها خُلق الإنسان مغيبة عنه، كأنما هي في غيابة جُبّ!

ويظل الإنسان سادراً في لهوه، كأن الحياة ملهاة، يمضي فيها من متاع إلى متاع!

وقد حسب أنه لن يردّ إلى الله، فيسأله عما أوتي من آلاء، ثم يجزيه بما صنع!

بلى!

﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

obeikandl.com

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ ابن جرير الطبري، دار المعرفة ١٩٧٢.

٣ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة ١٩٨٦.

٤ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب، دار الشروق ١٩٨٢.

٥ ـ مقال في الإنسان: دراسة قرآنية ـ د. بنت الشاطىء، دار المعارف ١٩٦٩.

٦ ـ الله ـ عباس العقاد، دار الهلال ١٩٥٤

٧ ـ خلْقُ الإنسان بين الطب والقرآن ـ د. محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٩١.

٨ ـ روعة الخلق ـ ماجد طيفور، الدار العربية للعلوم ١٩٩١.

٩ ـ قاموس حتي الطبي، ١٩٨٩.

١٠ ـ تشريح الإنسان (باللغة اليوغوسلافية) ـ البروفيسور الدكتور ماريان بوشكوفيتش ١٩٧١.

11 – Textbook of Medical Physiology.

prof. Dr. Arthur Guyton 1966.

12 – A child is born.

Lennart Nilsson and Lars Hamberger 1990.

13 – Being Born.

Sheila Kitzinger and Lennart Nilsson 1989.

14 – Human Embryology.

Hamilton, Boyd, Mossman 1976.

15 – Medical Embryology.

Jan Langman 1975.